التفسير الموضوعي وأهميته في فهم القرءان الكريم

محمد قجوي •

١ التفسير الموضوعي هو النظر في موضوع معين، من خلال مجموعة من النصوص القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع، يتم جمعها من سورة أو أكثر، واستنباط حكم القرآن فيه، اعتماداً على هذه النصوص ومقاصدها.

وهذا المصطلح حديث الاستعمال، لم يعرف إلا في العصر الحديث. ومن الدارسين من عيّن القرن الرابع عشر الهجري تاريخا لظهوره[1]، إلا أن بدايات هذا اللون من التفسير متقدمة جدا في التاريخ، نلحظ أصوله في العناصر التالية:

1. حيث قرر ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، ذكره محمد حجازي في **الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**، مطبعة المدني القاهرة، دار الكتب الحديثة مصر ط.1، 1390هـ/1970م. ص: 24، ومصطفى مسلم في **مباحث في التفسير الموضوعي** ، دار القلم دمشق ط.1. 410هـ/1983م. ص: 17

• أستاذ علوم القرآن والتفسير، كلية الآداب جامعة محمد الخامس بالرباط

أولا ـ تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن بالقرآن

حيث كان صلى الله عليه وسلم في كثير من تفسيراته يزيل الإشكال الحاصل في أذهان السائلين من الصحابة، بحمل بعض القرآن على بعض، موضحا بذلك المعنى المقصود من كلام الله تعالى، وهذا ما اصطلح عليه العلماء فيما بعد بتفسير القرآن بالقرآن.

ومن ذلك:

ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ[1] خَمْسٌ؛ ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(لقمان: 33)»[2].

تمتد بدايات ظهور التفسير الموضوعي إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين من خلال تفسيرهم للقرآن بالقرآن.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّه عَنْه قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾(الأنعام: 83) قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ. ﴿لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾: بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(لقمان: 12)»[3].

---

1. من قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ الأنعام: 60.

2. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، ، تحقيق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط.3، 1407هـ/ 1987م، ح: 4351 ومواضع أخر. **ومسند الإمام أحمد بن حنبل**، مؤسسة قرطبة، مصر. مسند المكثرين من الصحابة، ح: 4752 و5112 و5204 و6007.

3. **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، الباب: 8، ح: 3181، ومواضع أخر. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، مسلم بن الحجاج النيسابوري، كتاب الإيمان،

وعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(غافر: 60)»[1].

ثانيا ـ عناية الصحابة والتابعين بتفسير القرآن بالقرآن

وفي عهد الصحابة والتابعين رضي الله عنهم جميعا، ازداد حجم هذا الفن من التفسير أكثر مما كان عليه في مرحلة النبوة والوحي، بازدياد السؤال لفهم ما يقع من الإشكال بسبب المتشابه من الألفاظ والآيات، وازدياد الحاجة إلى فقه أحكام القرآن وقضاياه المعرفية، فتطور بذلك تفسير القرآن بالقرآن، وتعددت وجوهه لتشمل مباحث كثيرة، منها على سبيل المثال:

1ـ بيان المفردات

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾(الأعراف: 171)، قال: «معناه رفعناه؛ وهو قوله: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ﴾(النساء: 153)»[2].

الباب: 56، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت. د.ت. ح: 124

1. **سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عد الحميد، دار الفكر. د.ت؛ كتاب الصلاة، ح: 1479. **وسنن الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ت، أبواب التفسير، سورة البقرة، ح: 2969، وسورة غافر، ح: 3247، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». **وسنن ابن ماجة**، أبو عبد الله محمد بن يزيد، ابن ماجة القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت. د.ت،كتاب الدعاء، ح: 3828. **ومسند أحمد**، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، مصر. د.ت، مسند الكوفيين، ح: 17888 و17919 و17924 و مواضع أخرى.

2. **تفسير القرآن بالقرآن دراسة تاريخية ونظرية**، محمد قجوي، أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية، إشراف الدكتور الشاهد البوشيخي، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم

وعن الضحاك وقتادة رحمهما الله، في قوله تعالى: «﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾(إبراهيم: 48)، قالا: شركهم؛ كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾(مريم: 91)»[1].

2 ـ بيان المبهم

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾(التوبة:120) قال: «هم المهاجرون من قريش؛ لقوله في الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[2]، واحتج بهذا رضي الله عنه يوم السقيفة على الأنصار، وقال: نحن الصادقون، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا، أي تابعين لنا»[3].

وعن الحسن البصري رحمه الله، أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ . تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾(النازعات الآيتان: 6-7)، قال: «هما النفختان، أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتحيي الموتى، ثم تلا: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾(الزمر: 65)»[4].

الإنسانية ظهر المهراز. 217/2، **وجامع البيان** 109/9، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: 25، ح: ترجمة الباب، وكتاب التفسير، سورة الأعراف، ح: ترجمة الباب.

1. **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن كثير، دار المعرفة بيروت، 1401هـ/1981م، 543/2-544.

2. نص الآية: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحشر: 8.

3. **التعريف والإعلام لما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام**، أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي، تحقيق عبد أ. مهنّا، دار الكتب العلمية بيروت، ط.1. 1407هـ/1987م. ص.74، **والجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله القرطبي، دار الكتب المصرية، ط.2. 288/8-289.

4. **جامع البيان في تأويل القرآن**، ابن جرير الطبري، دار الفكر بيروت، 1405هـ/1984م. د.ت. 31/30، **والدر المنثور في التفسير المأثور** جلال الدين السيوطي، دار الفكر بيروت، 1993م، 406/8.

وبه قال أيضا مجاهد وقتادة والضحاك رحمهم الله [1].

3 ـ تحقيق معاني الألفاظ حسب سياقاتها المختلفة في القرآن

وهو ما اصطلح عليه العلماء فيما بعد بعلم الوجوه والنظائر، وهو وجه عظيم من وجوه تفسير القرآن بالقرآن، اعتنى به الصحابة عناية كبيرة، جعلت رواياتهم أصلا هاماً ومصدراً غنياً لمن اهتم به بعدهم من المصنفين، ومنه:

«عن طاوس قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿فَلَا رَفَثَ﴾(البقرة: 196) قال: الرفث الذي ذكر هنا ليس الرفث الذي ذكر في: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ (البقرة: 186) ذاك الجماع، وهذا العراب بكلام العَرَب، والتعريض بذكر النِّكاح»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا قال: «كل ريب شك إلا مكانا واحداً في الطور: ﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾(الطور: 28) يعني حوادث الأمور»[3].

وعن سعيد بن جبير رحمه الله، قال: «العفو» في القرآن على ثلاثة أنحاء: نَحْوٌ تجاوزٌ عن الذنب[4]، ونحوٌ في القصد في النفقة؛ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ (البقرة: 217)، ونحوٌ في الإحسان فيما بين الناس؛ ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾(البقرة: 235)»[5]

---

1. **تفسير القرآن العظيم** 467/4، **وجامع البيان** 31/30، و32، **والدر المنثور** 406/8.

2. **تفسير القرآن العظيم** 38/1 ، **والدر المنثور** 528/1

3. **الإتقان في علوم القرآن**، جلال الدين السيوطي، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت.140 هـ/ 1987م، 136/2 ، **والجامع لأحكام القرآن** 72/17.

4. ومنه قوله تعالى:﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾(النساء: 148)، وقوله: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(التغابن: 14).

5. **الإتقان** 138/2

4 ـ بيان الأحكام

حيث كان الصحابة رضي الله عنهم يجتهدون في بيان ما خفي عنهم من أحكام القرآن، بجمع نصوص المسألة والتنسيق بينها حتى يتضح حكمها. ومن ذلك:

عن أبي الضحى عن قائد لابن عباس قال: «كنت معه فأتى عثمان بامرأة وضعت لستة أشهر، فأمر عثمان برجمها، فقال له ابن عباس: إن خاصمتكم بكتاب الله فخصمتكم، قال الله عز وجل: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾(الأحقاف: 14)، فالحمل ستة أشهر، والرضاع سنتان[1]، قال: فدرأ عنها[2].

ونسب مثل ذلك أيضا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه[3].

قال أبو عمر: «لا أعلم خلافا بين أهل العلم في ما قاله علي وابن عباس في هذا الباب في أقل الحمل، وهو أصل وإجماع، وفي الخبر بذلك فضيلة كبيرة وشهادة عادلة لعلي وابن عباس في موضعهما من الفقه في دين الله عز وجل، والمعرفة بكتاب الله عز و جل»[4].

---

1. يقصد قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾(البقرة: 231) ، وقوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾(لقمان: 13).
2. **مصنف الإمام عبد الرزاق**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت ط.2، 1403هـ، باب التي تضع لستة أشهر. ح: 13447.
3. يختلف في رواية هذه القصة، فبعضهم يجعلها لعثمان مع علي، أو مع ابن عباس، وبعضهم يرويها لعمر بن الخطاب مع علي وغير ذلك، أنظر: **الاستذكار** أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ط.1. 1421هـ/ 2000م. 7/491-493 بتصرف.
4. **الاستذكار** 7/439.

5. توجيه ما ظاهره التعارض

وهو من المباحث الهامة التي عني بها الصحابة رضي الله عنهم، ومن أمثلته:

عن سعيد بن جبير، قال: «جاء رجل إلى ابن عباس، فقال: رأيت أشياء تختلف عليَّ من القرآن، فقال ابن عباس: ما هو؟ أشك! قال: ليس بشك، ولكنه اختلاف، قال: هات ما اختلف عليك من ذلك، قال: أسمع الله يقول: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾(الأنعام: 23) وقال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾(النساء: 42) فقد كتموا، وأسمعه يقول: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾(المؤمنون: 102)، ثم قال: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾(الطور: 23)، وقال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ـ حتى بلغ ـ ﴿طَائِعِينَ﴾ (فصلت: 9 –11)ثم قال في الآية الأخرى: ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾(النازعات: 27)، ثم قال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾(النازعات: 30)، وأسمعه يقول: «كَانَ اللَّهُ»[1] ما شأنه يقول: «وكان الله»؟!

فقال ابن عباس: أما قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾(الأنعام: 24)، فإنهم لما رأوا يوم القيامة، وأن الله يغفر الذنوب ولا يغفر شركاً، ولا يتعاظمُه ذنب أن يغفره، جحده المشركون رجاء أن يغفر لهم فقالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فختم الله على أفواههم، فتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، فعند ذلك﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾(النساء: 42).

1. في آيات كثيرة منها: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(النساء: 17).

وأما قوله: ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾(المؤمنون: 101)، فإنه إذا نُفِخَ ﴿فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾[1]، ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾(الزمر: 65)، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾(الطور: 23).

وأما قوله: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾(فصلت: 8)، فإن الأرض خلقت قبل السماء، وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الأرض.

وأما قوله: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾(النازعات: 30)، يقول: جعل فيها جبلا، وجعل فيها نهراً، وجعل فيها شجراً، وجعل فيها بحوراً.

وأما قوله: ﴿كَانَ اللَّهُ﴾[2]، فإن الله كان ولم يَزَلْ كذلك، وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير،لم يزل كذلك. فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك، وإن الله لم ينْزل شيئا إلا وقد أصاب الذي أراد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون»[3].

وعن قتادة أن رجلا جاء إلى عكرمة، فقال: «أرأيتَ قول الله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾(المرسلات: 35) ، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾(الزمر: 30)؟ فقال: إنها مواقف، فأما موقف منها، فتكلموا واختصموا، ثم ختم الله على أفواههم فتكلمت أيديهم وأرجلهم، فحينئذ لا يتكلمون»[4].

---

1. الزمر الآية: 65، ونصها: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾.
2. في آيات كثيرة منها: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(النساء: 17).
3. **الإتقان** 3/79-80، **وأخرجه البخاري في صحيحه**، كتاب التفسير، سورة حم السجدة، ح: الذي يلي ترجمة السورة.
4. **تأويل مشكل القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث القاهرة -مصر، ط.2، 1393هـ/1973م، ص66 ، **وتفسير القرآن العظيم** 276/4 ، **والجامع لأحكام القرآن**174/17

وغير ذلك من المباحث الهامة التي تحتاج إلى بحث خاص لحصرها، وكل ذلك يعكس اهتمام سلف هذه الأمة بهذا الجانب المنهجي الذي يمثل أساس ونواة البحث الموضوعي.

ثالثا ـ الظهور المبكر لنواة التصنيف في التفسير الموضوعي

هذا الرصيد الهام الذي خلفه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم جميعا كان مصدراً هاما للظهور المبكر لنواة التصنيف في التفسير الموضوعي، فظهرت مصنفات تمثل بدايات أولى لتطور هذا الفن، ومن ذلك؛ تلك الدراسات اللغوية التي اهتمت ببيان معاني الألفاظ حسب سياقاتها المختلفة في مجموع القرآن، وهي كتب الوجوه والنظائر، وهذا النوع من أسبق ما ظهر من علوم القرآن[1]، ومن أوائل من نسب إليهم التصنيف فيه:

شكلت دراسات ألفاظ القرآن الكريم ومفرداته اللبنة الأولى للتصنيف في التفسير الموضوعي.

عكرمة مولى ابن عباس (توفي105هـ)، ثم علي بن أبي طلحة (توفي143هـ) كلاهما عن ابن عباس[2]، ثم توالت التصانيف بعد ذلك:

ككتاب الأشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان البلخي (توفي150هـ)[3].

والتصاريف، تفسير ما اشتبهت ألفاظه وتصرفت معانيه ليحيى بن سلام التيمي البصري الإفريقي (توفي200هـ)[4].

---

1. مقدمة تحقيق، **تفسير ما اشتبهت ألفاظه وتصرفت معانيه**، يحيى بن سلام، تحقيق هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ص:28.
2. **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ص: 82.
3. حققه عبد الله محمود شحاتة سنة 1975م، القاهرة.
4. حققته هند شلبي الشركة التونسية للتوزيع، سنة 1979 م.

وكتاب في الوجوه والنظائر[1]، لأبي الفضل العباس بن الفضل الأنصاري الواقفي البصري، (توفي186هـ).

وكتاب ما اشتبه من لفظ القرآن، وتناظر من كلمات الفرقان[2]، لعلي بن حمزة الكسائي، (توفي189هـ). وغيرها من المصنفات الكثيرة.

ومنه أيضا دراسات أخرى عنيت بجمع الآيات التي تندرج تحت موضوع عام كتفاسير الأحكام بحسب بعض الدارسين.

وكتب أخرى في مواضيع متفرقة: ككتب الناسخ والمنسوخ وهي لا تحصى عددا، وكتب أمثال القرآن[3]، وأقسام القرآن[4]، ومبهمات القرآن[5]، وما شابه ذلك...إلا أن جميع هذه المصنفات لا تتناول الموضوع إلا في إطاره العام. أي لا يجمع بين أجزائه وعناصره إلا عموم العنوان، وإن كانت تندرج تحت هذا العموم أفراد عدة، لكل منها خصوصيات تجعل منه موضوعا قائما بذاته، يستحق أن يفرد بالتصنيف. وسنوضح ذلك أكثر عند الحديث عن أنواع التفسير الموضوعي.

وإلى جانب هذا ظهرت كتب أخرى هي أقرب إلى الخروج من دائرة العموم إلى الخصوص:

---

1. **نزهة الأعين**: 82
2. **معجم الدراسات القرآنية**: ص333 ، **ومقدمة تحقيق وضح البرهان** 20/1
3. للماوردي (توفي450هـ)، وابن القيم (توفي751هـ)، وغيرهما.
4. لابن القيم (توفي751هـ).
5. ألف فيه الإمام السهيلي (توفي581 هـ) «**التعريف والإعلام**»، وأبو عبد الله ابن عساكر (توفي636 هـ) «**التكملة والإتمام لكتاب التعريف والإعلام**»، وبدر الدين بن جماعة (توفي733هـ) «**غرر التبيان في من لم يسم في القرآن**»، والسيوطي (توفي911هـ) «**مفحمات الأقران في مبهمات القرآن**».

ككتاب "استخراج الجدال من القرآن الكريم" للشيخ أبي الفرج عبد الرحمن الأنصاري المعروف بابن الحنبلي (توفي 734هـ). وبعض المصنفات لابن تيمية (توفي 728هـ)، ككتاب "الإيمان"، "والعبودية"، وغير ذلك من المصنفات...

ومازال التصنيف على المنهج الملتزم بالموضوع في إطاره العام مستمرا إلى يومنا هذا، في هذه العلوم المشار إليها وغيرها، وبجانبه يوجد التصنيف الملتزم بالتعمق في دراسة قضايا القرآن وموضوعاته، بحصر دائرة البحث وتضييقها، سنشير إلى نماذج منه فيما بعد.

رابعا: أهمية التفسير الموضوعي

أصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن درءا للاختلاف والتنازع

التفسير الموضوعي منهج هام جدا لمعرفة أحكام القرآن وقضاياه المعرفية، وهذه بعض الاعتبارات الدالة على أهميته:

1 ـ التفسير الموضوعي من أصح طرق التفسير

التفسير الموضوعي وجه من وجوه بيان القرآن بالقرآن، لما فيه من حمل بعض القرآن على بعض، حتى يكتمل الموضوع وتتضح جزئياته وتتسق. وهو بذلك داخل لا محالة في تلك القاعدة الجليلة التي أجمع العلماء عليها؛ وهي أن أصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن[1] لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ﴾ (آل عمران: 7)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ (الفرقان: 33)، ولذلك كان القرآن الكريم المصدر الأول الذي أمرنا أن نلجأ إليه عندما نختلف

1. **مقدمة في أصول التفسير**، تقي الدين أحمد بن تيمية، تحقيق عدنان زرزور، ط.1، 1391هـ/1971م. ص: 93، **وتفسير القرآن العظيم** 3/1، **والبرهان في علوم القرآن** بدر الدين الزركشي، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت ط.2، 1391هـ/ 1972م، 175/2؛ **والإتقان في علوم القرآن** 174/4، وأضواء البيان 5/1.

في قضية معينة، بسبب خفاء بعض جوانبها، أو عدم التئامها في أذهاننا، فنلجأ إليه وإلى السنة المفسِّرة له بحثا عن ذلك، عسى أن يهدينا الله تعالى إلى حكمه، فيتضح ما كان خافيا علينا؛ قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(النساء: 59)، فاعتبر الله تعالى هذا الرجوع إلى الكتاب والسنة – لاعتبارهما المصدر الأساس للبيان والتفسير – خيراً لهذه الأمة وأحسن عاقبة وأحسن تفسيراً[1]، وقال أيضا: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ﴾ أي: إلى كتابه[2].

ومن هذا الرجوع إلى الكتاب الرجوع إليه في فهمه وتفسيره، بحمل بعضه على بعض حتى يتضح الخفي المتنازع فيه من معانيه وأحكامه، كما هو الحال في التفسير الموضوعي.

2 ـ توجيه القرآن إلى هذا اللون من البحث:

إننا إذا تأملنا نصوص القرآن الكريم وما لابس تنزلاته أيضا، نلاحظ بوضوح التوجيه الملحّ إلى قضية جوهرية في فهم أحكام القرآن الكريم وقضاياه، وهي ضرورة استيعاب النصوص المتعلقة بالموضوع، والنظر فيه من خلالها جميعا.

ومن أمثلة التوجيه بتنزلاته:

ما رواه أنس رضي الله عنه، عندما نزل تحريم الخمر «...فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: قُتِلَ قَوْمٌ وَهْيَ فِي بُطُونِهِمْ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾(المائدة: 93)[3].

1. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، محمود بن عمر الزمخشري، ضبط وتصحيح مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، 524/1، **والجامع لأحكام القرآن** 263/5

2. **الكشاف** 212/4، **والبرهان في علوم القرآن** 7/1

3. **صحيح البخاري**، كتاب التفسير ـ سورة المائدة ـ الباب:11، ح: 4344، **وسنن الدارمي** أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق فواز أحمد رمزلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي بيروت، ط.2،

وما رواه البراء رضي الله تعالى عنه عندما تحولت القبلة، قال: «...وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ الْبَيْتِ رِجَالٌ قُتِلُوا لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾(البقرة: 143)»[1]، وقد جمع ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بفهمه الثاقب هاتين الحالتين في رواية واحدة؛ لما بينهما من التشابه والاشتراك في نفس التوجيه فقال: (لَمَّا حُرِّمَتِ الْخَمْرُ قَالَ أُنَاسٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصْحَابُنَا الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يَشْرَبُونَهَا فَأُنْزِلَتْ ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾(المائدة: 93)، قَالَ: وَلَمَّا حُوِّلَتِ الْقِبْلَةُ قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصْحَابُنَا الَّذِينَ مَاتُوا وَهُمْ يُصَلُّونَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَأُنْزِلَتْ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾(البقرة: 143)»[2] وغير ذلك من الروايات الكثيرة في هذا الباب.

لفهم أحكام القرآن وقضاياه يجب استيعاب النصوص المتعلقة بالموضوع، والنظر فيه من خلالها جميعا

إن هذا المنهج القرآني العظيم في ترتيب الأحكام، الذي يحرص على أن يَنْزل الحكم أولاً، فيتساءل الناس، ويتساءل معهم العلماء خاصة، في شأن أطراف الموضوع التي لم يتضح حكمها بعد، وقد تكثر الآراء في شأنها وتتنازع، ثم ينْزل بعد ذلك نص جديد، يحمل معه الجواب عن كل هذه التساؤلات، ويزيل كل أسباب اللبس والإشكال، فيه تنبيه واضح على ضرورة استيعاب النصوص المتعلقة بالموضوع المبحوث في القرآن، وعدم الاكتفاء بموضع واحد، بل فيه تعليم وتدريب عملي على ذلك، لما يثيره الغموض في نفوسهم من تساؤلات، وتقليب

1407هـ، كتاب الأشربة، ح: 2089.

1. **صحيح البخاري**، كتاب التفسير ـ سورة البقرة ـ الباب:12، ح: 4216

2. **مسند أحمد**، مسند بني هاشم، ح: 2686، قال ابن حجر: «سنده صحيح» **فتح الباري فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر بيروت 1411هـ/ 1991م،د.ت، 150/11

للنظر، وتطلع إلى معرفة الحكم، يجعل من عاش تلك الحالة يتذكر جيدا كيف توصل إلى معرفة الحكم، بل يعلم جيدا كيف ينبغي أن يتصرف في نظائر هذه الحالات مستقبَلاً..

ومن أمثلة التوجيه بنصوصه:

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾(النحل: 118) وقد ذكرت هذه الآية أن الله تعالى قد حرم على اليهود أموراً قصها على النبي صلى الله عليه وسلم لم يُبيِّنها هنا، ولكنه أحال على موضع تفصيلها في سورة أخرى، ولا يمكن معرفتها إلا بالرجوع إليه وحملها عليه؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾(الأنعام: 147)[1].

ومن ذلك أيضا؛ قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾(المائدة: 1)، وفي هذه الآية تنبيه على أن هذا المستثنى من حلية بهيمة الأنعام قد فصِّل في موضع آخر من القرآن، ويجب حمل هذا النص عليه لإزالة الإجمال الحاصل فيه بسبب الإبهام في صلة الموصول، وهذا الموضع هو قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾(المائدة: 4)[2].

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾(النساء: 126) ، وفي هذه الآية أيضا إجمال لم يتضح بسببه تمام المعنى، ولكن فيها إحالة

1. أضواء البيان 3/383، وتفسير القرآن العظيم 2/591

2. أضواء البيان 3/2 ، وتفسير القرآن العظيم 2/5

على موضع التفصيل الذي به يتم البيان، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾(النساء: 3)[1].

وغير ذلك من الأمثلة.

ولا يخفى ما في هذا التوجيه من إلجاء الناظر في القرآن إلى البحث عن النص المقصود بهذه الإحالة، بعد أن علم بضرورة الرجوع إليه، وتوقُّفِ اتضاح المعنى عليه[2].

3 ـ توجيه السنة إلى هذا اللون من البحث:

من أراد وصل القرآن بالواقع، فلا بد له من الحل والترحال عبر القرآن الكريم والاسترشاد بالهدي النبوي

إن الرسول صلى الله عليه وسلم أول من فسر القرآن بالقرآن، وقد رأينا سابقا نماذج من تفسيراته، وفي عمله ذلك تعليم للصحابة ومن بعدهم أن يقتفوا أثره، فيلتمسوا تفسير القرآن في القرآن، ويحملوا بعضه على بضع، حتى تتضح معانيه وأحكامه وهداياته...وقد استوعب الصحابة والتابعون بعدهم رضي الله عنهم جميعا هذا الدرس، فكانوا مبرزين في هذا الفن، يشهد بذلك ما تزخر به التفاسير من وفرة رواياتهم في هذا الباب...وتراثهم العظيم يعتبر معلما هاما في هذا الطريق.

4 ـ ضرورة استيعاب الواقع:

إن الله تعالى أراد لهذا الكتاب العزيز أن يصاحب البشرية في جميع مراحل تطورها، وأن يستوعب جميع ما يجد في حياتها على اختلاف الأعصار والأمصار،

---

1. أضواء البيان 1/421، وتفسير القرآن العظيم 1/562

2. انظر تفصيله في تفسير القرآن بالقرآن دراسة تاريخية ونظرية: 16

وتلك حقيقة كبرى ينبغي لكل باحث أن يستحضرها في كل ما يعالجه من قضايا القرآن وأحكامه، لكي لا يحدث قطيعة وهمية أو جفوة مفتعلة بين هذه الرسالة الخاتمة المهيمنة على حياة الناس، وبين واقع هؤلاء الناس المتجدد. ولا يمكن لهذا الباحث أن يحافظ على هذا التواصل بين الوحي والواقع كما أراده الله تعالى، وأن يخوض في مثل هذه القضايا على تطورها وعدم استقرارها، معتمدا على ظواهر النصوص، أو دلالاتها الموضعية، متفرقة حسب ترتيب المصحف، راغبا في أن يصل إلى رأي إسلامي سديد في شأنها...إلا من خلال جولات في النصوص، ووقوف على أسباب نزولها وورودها، وما توحي به سياقاتها وظلالها، ومقارنات بين هذه النصوص لاستكمال أطراف الموضوع، ولابد له من توسلات بمقاصد القرآن وهداياته العامة وإرشادات السنة المفسِّرة، ليهتدي بعد ذلك إلى أحكام القرآن الكريم...والتفسير الموضوعي هو المنهج المؤهل لمثل هذا العمل.

5 ـ ضرورة تطوير البحث العلمي:

إن تطوير البحث العلمي في الدراسات القرآنية – وغيرها من العلوم التي تتوقف عليها مصلحة هذه الأمة – فريضة شرعية، وضرورة اجتهادية.

وفي الدراسات الموضوعية للقرآن الكريم مجال رحب للاجتهاد، يمكن الباحثين من تطوير فن التفسير، والرقي به إلى مستوى يجعله يساير تطور الحياة وتشعبها، ويستوعب هموم الأمة وآمالها، ويمكن أن نمثل لهذا الموضوع بما يلي:

أ. أهمية الدراسات المتخصصة:

إن الباحث وهو يولي كامل اهتمامه لموضوع معين، يركز فيه جهده وتفكيره، ويفرده بتأليف خاص، يلم شعثه ويستقصي أطرافه، يعطي لهذا الموضوع من الدراسة والعمق ما يجعله مرشحا للنضج، وإضافة الجديد في بابه أكثر من غيره.

ولا يتيسر مثل هذا العمل العلمي المتخصص الجاد في حقل الدراسات التفسيرية إلا من خلال منهج التفسير الموضوعي.

ب. الحاجة إلى أسلمة المعرفة:

إن علماء الإسلام ومفكريه مطالبون اليوم أن يجدوا صياغة جديدة لأغلب ما يسود عالمهم من علوم ومعارف وقوانين، لأنها تنطلق من أصول وفلسفات غريبة عن الإسلام، لها رؤية خاصة للوجود والإنسان والحياة والمستقبل، وليست الصياغة المقصودة أن يكتفوا بأيسر الحلول وأقلها كلفة، حتى ولو جاءت ملفقة لا ترقى إلى المستوى المطلوب. إنما الصياغة المقصودة أن يعيدوا تأسيس هذه العلوم والمعارف والقوانين على أصول إسلامية، تجعل صياغتها تنسجم مع التصور الإسلامي لهذا الوجود، ورسالة الإنسان فيه، وتحافظ على ذلك التناسق بين عناصره، الذي يخدم هذه الرسالة وييسرها... ولا يمكن أن يتحقق هذا الأمل إلا في إطار الدراسات والبحوث الموضوعية المتعمقة في القرآن والسنة.

ج. ضرورة تطوير هذا اللون الجديد من التفسير:

إذا تأملنا التراث الإسلامي في حقل التفسير نجد أن وجوها كثيرة من الدراسات التفسيرية قد أخذت حظا وافرا من العناية والاهتمام، ولا تزال كذلك إلى يومنا هذا، الأمر الذي جعل كثيرا منها قد نضج واستوى على سوقه، وأصبح علما واضح المعالم والمنهج، كالتفسير بالمأثور، والتفسير اللغوي، والتفسير الفقهي، وغيرها...ولا نبغي بهذا الكلام تجاوز هذه الألوان والتنكر لها، وإنما نريد أن ننبه على أن هذا اللون الجديد – التفسير الموضوعي –لم يحظ بعد بهذا المستوى من العناية والاهتمام، رغم الحاجة الماسة إليه، لأن تدبر القرآن الكريم وفهمه الذي أمرنا به لا يقف عند حد معرفة دلالات ألفاظه وتراكيبه، وحكمه وأحكامه في مواضعها المتفرقة حسب ترتيب المصحف، ولكنه يعني بالإضافة إلى

ذلك أن نفقه من هذا الكتاب - مستفيدين من هذه الدلالات والحكم والأحكام المتفرقة - بعد جمع النصوص حسب الموضوعات والقضايا التي ندرسها أحكاما كلية، تمثل حكم الإسلام في جوانب الحياة وقضايا المعرفة. فبدل أن نكتفي بفهم لفظة غريبة نسعى إلى فقه قضية خطيرة، وبدل أن نكتفي بإعراب تركيب مشكل، نجتهد في التوصل إلى حكم في أمر مشكل...وكتاب الله تعالى لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق من كثرة الرد، ولا تزال كنوزه تفيض على من طلبها، وأجهد نفسه من أجلها..

خامسا: أنواع التفسير الموضوعي ومناهجه:

1 ـ أنواعه:

ينقسم التفسير الموضوعي بحسب ما هو موجود من أنواع التصنيف فيه إلى نوعين:

النوع الأول: التفسير الموضوعي العام

وهو الذي يجمع عناصره في إطار واسع وعنوان عام، يستمده من القرآن الكريم، ويؤسسه على نصوصه، إلا أن عناصره تمثل قضايا متنوعة، ليست بينها وحدة سوى عموم العنوان، مما يجعل كل قضية منها موضوعا مستقلا بذاته، صالحا لأن يفرد بالتصنيف.

ومثال ذلك: تفاسير الأحكام؛ فموضوع "أحكام القرآن" واضح الالتصاق بالقرآن الكريم، إلا أنه إطار واسع، وعنوان عام، تندرج تحته قضايا متنوعة، لكل منها خصوصيات تجعل منها موضوعا مستقلا بذاته؛ كالطهارة، والصلاة، والزكاة، والحج، وغيرها...

وقد رأينا سالفا أن معظم تصانيف الأولين من المفسرين من هذا النوع، وأن هذا المنهج مازال مستمراً إلى يومنا هذا، ومنه على سبيل المثال:

- تفسير آيات الأحكام، لمحمد علي السايس
- روائع البيان تفسير آيات الأحكام، لمحمد علي الصابوني
- تفسير آيات الأحكام، لمناع القطان

النوع الثاني: التفسير الموضوعي الخاص[1]

وهو الذي يجمع عناصره وأفراده في إطار ضيق وعنوان خاص، يستمده من القرآن الكريم، ويؤسسه على نصوصه، وتتميز عناصره وأفراده بالتماسك الذي يجعل منها وحدة موضوعية منسجمة. وهذا النوع هو الصورة المثلى للتفسير الموضوعي، لما يتسم به من العمق والتخصص، وهو أولى من غيره بهذا الاسم عند إطلاقه.

ومن تصانيف السلف فيه:

- كتاب "خلق الأفعال"
- كتاب "الرؤية"
- كتاب "الصفات" كلها لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (توفي334هـ)[2].
- كتاب "بر الوالدين" لأبي محمد قاسم بن أصبغ القرطبي (توفي340هـ)[3].

وغيرها من الكتب والرسائل، إلا أن الذي يلاحظ عليها من الناحية المنهجية أنها في أغلبها لا تتقيد بصميم الموضوع، بحيث يغلب عليها الاستطراد لدرجة يخرجها أحيانا كثيرة عن الموضوع، ويجعلها مليئة بأمور لا تتعلق بصميمه.

---

1. وهذا هو التقسيم الذي ارتضاه أيضا د. عبد الستار فتح الله سعيد في كتابه **المدخل إلى التفسير الموضوعي**، عبد، دار الطباعة والنشر الإسلامية مع اختلاف في التعريف.
2. **طبقات المفسرين**، محمد بن علي الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1403هـ/ 1983م، 397/1
3. **طبقات المفسرين** 36/2.

ومن مؤلفات المعاصرين في هذا النوع:

- الإنسان في القرآن، لعباس محمود العقاد.
- المرأة في القرآن، له أيضا.
- التربية في القرآن، لمحمد شديد.
- التربية في كتاب الله، لمحمود عبد الوهاب.
- الجدل في القرآن، لحسن الشرقاوي.
- الحوار في القرآن الكريم، لمحمد حسين فضل الله.

وغيرها من الدراسات الكثيرة. إلا أن الملاحظ عليها أنها في معظمها تفتقر إلى الاستقراء الشامل للموضوع، واستقصاء كل ما يتعلق به في كتاب الله تعالى، مما يجعلها غير وافية بالموضوع حتماً...

2 ـ مناهجه:

للبحث في التفسير الموضوعي منهجان:

أولهما: التفسير الموضوعي على مستوى القرآن كله

ويتم بالاستقراء الشامل للموضوع في القرآن كله، وجمع كل ما يتعلق به من جزئيات ولو كانت دقيقة، والنظر في الموضوع من خلالها جميعا، مع الاستعانة بالسنة المفسِّرة وهديها.

وفائدة البحث على هذا المستوى أنه يعطينا الصورة الكاملة للموضوع في القرآن كله- حسب طاقة الاجتهاد البشري- بحيث يكون مرشحا لأن يجيب عما يحتمل من الأسئلة والإشكالات في بابه.

ثانيهما: التفسير الموضوعي على مستوى السورة الواحدة

ويتم بالتعرف على غرض السورة وموضوعها الرئيس، ثم دراسة هذا الموضوع من خلال السورة وحدها، بملاحظة ما بين آيها ومقاطعها وقضاياها الفرعية من تناسب وتناسق، يجعلها جميعا متضافرة في بيان موضوع السورة وتجليته.

فإن لكل سورة موضوعاً يشكل محورها الذي تلتفُّ حوله كل أطرافها، ولعل في تسميتها بالسورة ما يشير إلى هذه الإحاطة بغرضها وفكرتها المحورية[1].

«فقديما قال الأئمة: إن السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد، يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويترامى بجملته إلى غرض واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة، وأنه لا غنى لمستفهم نظم السورة عن استيفاء النظر في جميعها، كما لا غنى عن ذلك في أجزاء القضية»[2].

وقد بدأ علم المناسبة دقيقاً ولا يزال حتى خفي على بعض علماء السلف فأنكروه[3]، وقلَّت عناية البعض الآخر به حتى قيض الله تعالى له فرسانه، فأفردوه بتصانيف هامة، تعتبر تجربة رائدة في هذا الباب. ومع كل هذا لم نجد عند السلف العناية بالتفسير الموضوعي على مستوى السورة الواحدة، بحيث لم يشتهر عنهم في هذا الباب إلا ما ورد في بعض المصنفات التي عنيت بتناسب الآي والسور عموما، كمصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، لبرهان الدين

---

1. **الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم**: 40-42، و53، **والتناسب البياني في القرآن**، أحمد أبو زيد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ط.1، 1992م. ص:55، **وأضواء على مناهج التفسير**، علي الصيود، دار البيان العربي، ط.1، 1412 هـ/ 1191م، ص: 20-21، **وقواعد التدبر الأمثل لكتاب الله**، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، ط.2، 1409هـ/1989م، ص: 16-17.

2. **النبأ العظيم النبأ العظيم**، محمد عبد الله دراز، دار القلم، ص: 179. انظر مثل هذا النص من كلام الأئمة في **البرهان في علوم القرآن** 1/36-37، والإتقان 3/322-323.

3. كالعز بن عبد السلام ت 660 هـ، **انظر البرهان** 1/37

البقاعي (توفي885هـ)، وهو أقربها إلى هذا الموضوع، ونظم الدرر في تناسب الآي والسور، له أيضا، وهو أعم من الأول، ونحو هذا من المصنفات...وكلها لم يُقصَد بها الدراسة الموضوعية المتعمقة، المفردة بتصنيف مستقل.

أما المحدثون فلهم فيه تصانيف منها:

- تصور الألوهية كما تعرضه سورة الأنعام، لإبراهيم زيد الكيلاني.
- سورة الواقعة ومنهجها في العقائد، لمحمد غريب.
- العواصم من الفتن في سورة الكهف، لعبد الحميد طهماز.
- قضايا العقيدة في ضوء سورة ق، لكمال محمد عيسى.
- القيم في ضوء سورة الكهف، لمصطفى مسلم، ضمن كتابه: مباحث في التفسير الموضوعي.

من أجود التجارب في باب التفسير الموضوعي، تجربة سيد قطب رحمه الله

وغيرها من الدراسات. كما عني بعض المفسرين في تفاسيرهم بذكر مقاصد السور ومواضيعها العامة في مقدمة تفسير كل سورة، حتى يكون ذلك إطاراً يلتزمون به عند تفصيل الحديث عن جزئيات هذه السور، كمحمد رشيد رضا (توفي1354هـ)، في تفسير المنار، ومحمود شلتوت (توفي1383هـ)، في تفسير القرآن، وسيد قطب (توفي1387هـ)، في ظلال القرآن، ومحمد الطاهر ابن عاشور (توفي1393هـ)، في التحرير والتنوير. ومن أجود التجارب في هذا الباب تجربة الأستاذ سيد قطب رحمه الله.

وفائدة البحث على هذا المستوى أنه يعرفنا على مقاصد السور وموضوعاتها الرئيسة، التي تلتف حولها كل فروع السورة، كما يطلعنا على أسرار كثيرة من أهمها؛ أسرار التكرار، فمما لا شك فيه أن آيات القرآن الكريم كلما تكررت

أضافت معنى جديدا يساعد على فهم موضوعها، وهذا المعنى الجديد يتضح لنا بالوقوف على سياقات هذه النصوص المتكررة وعلاقاتها بالموضوعات العامة لسورها.

ولا شك أن معرفة هذه المقاصد العامة للسور والمعاني والأسرار ستساعدنا على إنضاج التفسير الموضوعي على مستوى القرآن كله...

وخلاصة القول: إن التفسير الموضوعي هام جدا في فهم القرآن الكريم وإبراز أحكامه وهداياته، وهو ما يزال في حاجة إلى جهود العلماء الأكفاء لإنضاجه وإتمام بنائه، واستثماره في الحفاظ على الوصال الدائم بين الوحي وحياة الأمة... والله الموفق وهو يهدي السبيل.